المقالات الصحفية للسياب

د. جمال جليل إسماعيل
الجامعة المستنصرية-كلية التربية الأساسية

المقدمة

يبقى السياب حديثاً متجدداً على مرّ السنين يزاد ألقاً وبهاءً لما يحتل من مكانة أدبية متميزة بوصفه ظاهرة فنية وعلماً من أعلام الشعر العربي الحديث.

وعندما يهم الدارسون بدراسة بواعث النهضة الشعرية الحديثة لابد من أن يمروا به ويدرسوا تجربته الغنية- ولما كان الدارسون والباحثون قد أشبعوا السيّاب الشاعر بحثاً واستقصاءً وجدت من المناسب دراسة جزء من نتاجه النثري فبدأت بدراسة مقالاته الصحفية، وهي ماحرره السيّاب وما كتبه في الصحف والمجلات العراقية والعربية كشفت لنا آراءه وتعقيداته ازاء ظواهر الأدب وفنونه المتعددة التي أماطت اللثام عن جانب خفي من حياته التي تضمنت الكثير من المواقف والمحطات الحياتية الادبية والفكرية والسياسية.

لقد ترك لنا السياب مايجوز لنا أن نسميه تراثاً نثرياً وان كانت أهميته لاتقارن بأهمية آثاره الشعرية إلا انه ازداد أهمية بمرور الزمن فهو مهم من دون شك لأنه نضح من فكره وأحاسيسه حمل ذكرياته وهمومه وتطلعاته ومواقفه ازاء مظاهر الكون والمجتمع والحضارة والإنسان. قدمها بذهن متوقد، وحيوية متدفقة عكست شاعريته الفذة.

واستعنت في إنجاز جهدي المتواضع بالصحف التي حرر بها السياب مقالاته وتضمنت طروحاته واراءه ومواقفه لكون بحثي جاء حصراً بنشاطه الصحفي ولأن غايتي هي حصر نتاجه الصحفي والوقوف على ماجاء به السياب كشفاً وتحليلاً واستقراء راجياً ان أكون قد أعطيت السياب جزءاً من حقوقه علينا.

المقالات الصحفية للسيّاب

شأن المقالة شأن سائر فنون الأدب الحديث الأخرى، فهي من يعتمد على ملاحظة الحياة وتدبر أحوالها ومعانيها، وقد تناولت هذا الفن كتبه وأبحاث كثيرة[1]، ساهمت في الكشف عنه وتوضيح معانيه.

وللعرب المحدثين خط كبير في هذا اللون الجديد، كشفوا فيه بصدق عن إحساسهم بالحياة وعما يحيط بهم وعن أنظارهم وتأملاتهم.

وفي أدبنا العربي الحديث، ارتبط المقال بالصحافة وتأريخها لأنها نشأت في أحضانها، ولاأريد أن أسرد الأطوار التي مرت بها المقالة في عصرنا هذا لانتفاء الحاجة

[1] أنظر: د. محمد يوسف نجم، فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣، ود. منير بكر، أساليب المقالة وتطورها في الادب العراقي، الحديث والصحافة العراقية، مطبعة الإرشاد، ط١، بغداد، ١٩٧٦.

اليها في هذا البحث، ولأن مايهمنا هنا هو المقالات الصحفية التي حررها السيّاب، وأرى ان هذه المقالات أقرب الى الطور الأخير من أطوار مايسمى بـ(المدرسة الحديثة) التي امتازت بأسلوبها السلس، والابتعاد عن التكلف والتقعر لسهولة الطريقة وقرب الصورة لتكون موافية لنقل مايريد ان يقدمه وصاحب المقال.

وأسلوب السياب يجري في هذا المجرى، فهو ليس بالأسلوب العلمي الرصين ولا الخطابي، وهو أسلوب حديث لايتقيد بالصور والقوالب القديمة من سجع، وبديع، وتورية، ولا يميل الى المبالغة والغلو، لقد كتب السياب ماكان يحس به على شكل سرد او حوار مع النفس، فروى حكايات عاش في خضمها، ونقلها الى القراء بأسلوب تبرز به الذات واللوعة والصدق. كانت بعض مقالاته صرخة أطلقها من قلبه الى الناس، ولاسيما مقالاته (كنت شيوعياً) فأسلوبه فيها واضح بسيط التعبير، يهتم بعرض ذكرياته وأفكاره بوضوح ليتسنى له سهولة الانتقال من فكرة الى أخرى بتسلسل احياناً وبلا تسلسل احياناً أخرى.

لقد سعى في مذكراته أن يعرض على القارئ صورة صادقة واضحة لنفسه، وما علق بها من غبار التجارب، وما خباه من ثمار حياته حلوها ومرها، بذهن متوقد، وحيوية متدفقة تعكس شاعريته الفذة.

ذكرنا بأن للسياب ميولاً ورغبات للكتابة في الصحف والمجلات، وكانت مساهماته الأولى في وقت مبكر، ثم عمل بعد ذلك محرراً في الصحف التي كانت تصدر نذكر منها صحيفة الجمهورية عقب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وصحيفة الحرية وجريدة الأخبار وغيرها. وفتحت الصحف أبوابها للأديب السياب لأنها وجدت فيه أديباً متسلحاً بالثقافة والادب، ويملك أدوات العمل الصحفي ويستعملها باتقان، هذا إضافة الى شاعريته واسمه الذي بات مشهوراً في الأوساط الأدبية في العراق ومصر ولبنان، ومقالاته تنوعت أغراضها بتنوع الأسباب التي دفعته الى كتابتها.

لقد ترك لنا بدر مايجوز ان نسميه تراثاً نثرياً، وان كانت أهميته لاتقارن بأهمية مخلفاته الشعرية، الا انه يزداد أهمية بمرور الزمن، لأن نثره يحمل ذكريات الشاعر وهمومه وتطلعاته وماكان يريد ان يقول وهو في خضم الأحداث التي تقاذفته امواجها.

كانت كتاباته في الصحف نتيجة مواكبة لظروف معينة مرتبطة بمناسبات واحداث جسام، صحيح ان نثره لم يكن بمستوى شعره رهافة وروعة، الا ان بعض اللمسات من

شعره تنعكس على نثره، فطابع الذاتية يغلب عليها، ولقد أراد من خلال كتاباته الصحفية ان يميط اللثام عن خفايا حياته في بعضها، وان يرد الاعتبار لنفسه في قسم منها.

ففي مقالاته (كنت شيوعياً) التي كتبها في صحيفة الحرية ابتداءً من العدد ١٤٤١ في ١٤ آب ١٩٥٩ حتى العدد ١٤٨٦ في ١٩٥٩/١٠/٨٧ ومقالاته الأخرى ابتداءً من العدد ١٥٠١ في ١٩٥٩/١٠/٢٦ وانتهاءً بالعدد ١٥٢٠ من العام نفسه، يصف السياب صراعه الشخصي مع الشيوعيين محاولاً فضح خططهم لاستمالته، وكيف انه وقع في حبائلهم، وألاعيبهم، وكيف انه بانفصاله عنهم أعاد الاعتبار لشخصيته وهويته التي كانت ممسوخة.

فكلامه كان يغلب عليه العنصر الذاتي السلس، وقد صب فيه عاطفته لكي يكون قريباً من قلب القارئ وفكره وليكسب عطفه، فأسلوب السياب كان سردياً يعرض الحالات والأحداث بأسلوب قصصي فكأن القارئ يقرأ قصة بفصول متعاقبة يضفي عليها كاتبها عناصر المفاجأة والدهشة، والعطف على إنسان كان مسلوب الإرادة جر الى هذا الطريق جراً، ويبدو لي ان ارتباطه الشيوعي كان يشغل جانبياً كبيراً من تفكيره، ويؤثر في نفسه ويعرقل استمرار توهجه كشاعر بدأ يشق طريقه، فانتفض يكتب مقالاته هذه ليمسح عنه غبار الماضي، فالسيّاب ليس بالكاتب المحترف الذي يلتزم بحرفيات مهنته ويراعي خصوصياته، ولم تشكل كتابة المقالات كل همه وطموحه، حتى يسيطر على قوانينها ويلم بأمورها بتفاصيلها.

فهو يكتب حسب المستجدات وظروف الأحوال ليبقى اسمه متداولاً بين أقرانه، هو يكتب مقالاته ليحافظ على اسم شاعريته، فظهرت مقالاته بأسلوب بسيط سلس قريب الى قلب وعاطفة القارئ ذي طابع قصصي يعتمد على البوح والسرد ويتحكم فيه عاطفته الجياشة، فالمقالات تحدثت عن تجربة شخصية تأثرت بأحداث مؤلفة متشابكة اجتمع فيها الخاص والعام.. كان الحديث عن نفسه وعائلته وظروفه ونشاطه مدخلاً الى الحديث العام عن التجربة الكبيرة والاحداث التي لازمته منذ ان دخل الحزب الشيوعي وخرج منه وقد اعتمد في سرد ذكرياته على أحداث مؤرخة متسلسلة زمنياً تارة وغير متسلسلة تارة أخرى.

وحاول أن يضفي على نفسه صفة البراءة وانه لايمكن ان يتحمل جريرة الظروف او أخطاء الاخرين الذين تكالبوا عليه وان فكره مازال نقياً، وان نفسه مابرحت تواقة تهفو الى المجد العربي والحلم العربي، وان الكتابة عن تجربته هذه ظلت تراوده فترة طويلة من

الزمن، فالأسلوب كما أوضحت، شاعري تنضح العاطفة منه، قال "أكتب عن تجربتي مع الشيوعيين، كيف اعتنقت الشيوعية، وماذا رأيت فيها ومنها وما الذي جعلني أصبح عدواً لدوداً لها، وهاأنذا أحقق حلمي اليوم. كانت نفسي تجيش بالمشاعر الإنسانية وبحب الآخرين والسعي وراء الحق والخير والعدالة..."[١].

فقد جمع في مقالاته بين طرفي الموضوع والذات فمسك الخيط من منتصفه، فامتزجت ذاته مع فكرة الموضوع الرئيسة، الأنا واضحة لأنه كما قلنا يكتب عن تجربة شخصية مر بها يتكلم عن نفسه فيردد عبارات (هاأنذا.. واذكر..... وطفولتي... اتذكر... أكثر ماأبكاني أنني أتذكرها.. وغير ذلك من المفردات، يصب ويستخدم مفرداته هذه بتوضيح مجموعة من الأفكار لإبراز موضوعه الأساسي وهو الكشف عن مساوئ التيار الذي عاش في وسط أمواجه المضطربة في بداية انخراطه في الحزب الشيوعي في البصرة قال "لم تكن اجتماعات الرفاق تخلو من قرع الكؤوس، وكانت تزين مجالسهم السيدة (بلقيس) وهي شابة جميلة يعمل أبوها فلاحاً لدى جدي، وقد طلقها زوجها لسوء أخلاقها، فعادت الى بيت أمها وأخذت ترفه عن الرفاق، بطريقة شاذة خوفاً من أن تحمل وكان للرفيق فهد طبعاً نصيب من التمتع بجسدها الريان..."[٢].

فشخصيته غدت واضحة وأضفى عليها غلالة إنسانية، وأسلوبه واضح بسيط شاعري يميل الى الاستطراد والتنقل من حالة لأخرى موشحاً إياه بذكر حوادث وأقصوصات تطرى وتخفف العبء عن القارئ بسهولتها وتنوعها، وتدفعه لمواصلة حلقاتها المقبلة.

لقد نجح السياب في عدم توريط القارئ في اللبس ولم يقده الى مجاهل الإيهام، فبدت قضاياه متواصلة تنتهي كلها الى الغاية المقصودة جاعلاً منها وسيلة للتعبير عن إحساسه بالتجربة التي خاضها او عاناها ومدى استفادته فمنها بالعودة الى ذاته من جديد بعد أن إنكشفت عوراتها له. انصرف السياب الى التحدث الى قرائه عارضاً عليهم موقفه ونظرته بأسلوب لايخلو من السلاسة والبساطة واليسر والتنوع، أراد أن يسحب القارئ إليه بيسر، وان يجعله صديقاً يتعاطف معه، ويحنو عليه لكي لاتهتز صورته في أعين الناس، لذا أراد ان يكفر عن خطئه، فأطلق صوته وصرخته في مقالاته هذه، فكان (هو) المحور

---

[١] الحرية، العدد ١٤٤١ في ١٤ آب ١٩٥٩.

[٢] الحرية، العدد ١٤٤١.

الذي دارت عليه مقالاته جاعلاً من نفسه طريقاً الى الموضوع لا من الموضوع طريقاً الى نفسه، وهي وان كانت جادة لشدة مرارته التي عانى منها فقد عمد الى ان لاينفر منه القارئ، فهو لم يبد واعظاً ولا مرشداً ولا حكيماً بل شخصاً أصابته جراح بطعنات الغادرين، فحمل جراحه للناس شاكياً لهم ليواسوه وليضمدوا جراحه، فهو لم يعمد الى الجدل والمناظرة، لأنه بدا مدافعاً عن شيء وجد الحقيقة من خلاله، الحقيقة التي لايغالطها شيء.

فمقالاته صور شخصية عكست تعبيراً فنياً صادقاً تجارب السياب نفسه ومجموع الرواسب التي تركتها انعكاسات الحياة. نستطيع القول انها ضرب من الحديث الشخصي الأليف للقرّاء والاعتراف والبوح بما تجيش به أنفسه، ولكنها ليست سيرة ذاتية بحتة، بل تجربة وجدانية مرّ بها ومثل خطوطها وعبر عنها بأسلوب خاص به يعبر عن طابع شخصيته، وأنا هنا لاأريد أن أظهر بمظهر الناقد المتخصص، ولكني أوجه سؤالاً لنفسي هل استوعبت مادة المقالة وفكرتها مادامت الغاية من المقالة هي مخاطبة القارئ بأسلوب بسيط يخدم الفكرة او الغاية المطلوبة؟ الجواب أجل اذ توضحت امامي فكرة المقالة وطريقتها وأسلوبها واستطاعة الكاتب ان يوضح نفسه وموقفه من الفكرة او الموضوع المراد عرضه ومن ثم ملاحظة التراكيب والجمل من ناحية ترابطها وتفككها، وكذلك النظر في مسألة التكلف والتصنع والسجع وغيرها...

فالفكرة بدت لي واضحة غير معقدة مفهومة الغرض تهدف الى كشف أمور وخبايا تخدم الكتاب والقارئ معاً وتسلط الأضواء على أحداث تمس حياتنا الأدبية والسياسية والاجتماعية، وقد أوضح السياب في مقالته الثالثة في ١٧ آب ١٩٥٩، شماتة الشعوبيين بالعرب ومهاجمته شخصياً لقصيدة (المومس العمياء) وقصيدة (يوم الطغاة الأخير) اذ جاء في مقدمة تلك القصيدة انها على لسان (ثائر عربي من تونس يخاطب حبيبته) وعلى أثرها ثارت ثائرة الشيوعيين، وظلوا يهاجمونه في كل مكان، الا انه بقي صامداً، فأسلوبه مناسب لطبيعة الموضوع ونفسية الأديب، فهو سهل، ومثابر، وواضح، وغير مضطرب، ونشم منه رائحة الصدق والمعاناة، فهو يقول "فالشعوبية اللعينة التي راحت تحارب العرب منذ مقتل عمر بن الخطاب الى يومنا هذا، إنما هي في الحق نوع من أنواع التعصب

العرقي البغيض، فإحدهم وهو إيراني الأصل، يكره العرب والعروبة لا لشيء سوى لأنه إيراني وهذا ينطوي على تفكير عرقي..."[١].

وفي عدد ١٤٤٦ آب ١٩٥٩ تكلم عن دور عمه عبد المجيد الذي كان معتمد الحزب الشيوعي في البصرة، وعن عمليات غش الفلاحين بعد ان روجوا بأن الشيوعية تسعى الى إلغاء الفروق بين الناس، وتسعى الى توزيع الأراضي على الفلاحين. ويرى السياب ان هذه الاقاويل كانت أشبه (بالصفاقة) وتكلم عن تأسيس عصبة مكافحة الصهيونية في البصرة، ويبرز لنا السياب من ان شخصاً عربياً مسلماً يمكن ان يخدم الصهيونية.

وجهد السياب في مقالته الصادرة يوم ٢٦ آب بعدد ١٤٥٠ قصة اعتقال (فهد) الذي جاء نتيجة شهوة جنسية طائشة، وقصة ابنة القصاب التي دفعت دمها ثمناً لاندفاعها مع الشيوعيين بأسلوب يشد القارئ ويدفعه الى متابعة قراءة المقال الى نهايته، اذا ماعلمنا ان الاحداث كانت قريبة من أذهان القراء وان نتائجها بدت واضحة، فقد ألقت الضوء على أحداث خاصة كانت تجري خلف الستار، تعكس مساوئ الشيوعيين آنذاك من الحاد وفسق وإباحية. وقد أشار الى موضوع تغلغل الصهاينة في الحزب الشيوعي لخدمة اسرائيل، وكيف انهم "يسرقون الأمجاد ويحاولون الادعاء بكل شهيد لاينتمي الى حزب معين بأنه كان شيوعياً..."[٢].

ولم ينس السياب الأدب والشعر في مقالاته عن تجربته مع الشيوعيين، فقد أوضح كيف يموت الشعر في البلدان التي يحكمها الشيوعيون، وان جمد في الفترة التي ساد فيها الفوضويون فلم يرتفع أي صوت من تلك الأصوات العذبة الرخيمة التي رفعت رأس الشعر العراقي عالياً في كل انحاء الوطن العربي وهو يندد بنظرتهم الى الاداب فيقول: ".. انهم يعتبرونه محتوى بالدرجة الاولى وربما بالدرجة الوحيدة، اما الشكل، اما الاسلوب، اما الأخيلة، اما الصياغة، فتلك خرافات برجوازية سخيفة، ان كل فكرة ليس ماركسية لينينية ستالينية، هي فكرة خاطئة، وكل من عبر عنها فهو خاطئ.."[٣]. وأشار الى دناءة وجبن

---

[١] الحرية، العدد ١٤٤٤، في ١٧ آب ١٩٥٩.

[٢] الحرية، العدد ١٤٥٢، ٢٨ آب ١٩٥٩.

[٣] الحرية، العدد ١٤٦٩، ١٨ أيلول ١٩٥٩.

ممن كان يعمل تحت لوائهم في مقالته (حكايات عن إنتفاضة تشرين)[١]. وعن شجاعة المتظاهرين ممن لم يكونوا أعضاء في الحزب الشيوعي وهم يتصدون لقوات شرطة العهد الملكي المباد بكل شجاعة وجرأة، وعن دناءة وجبن من يدعون الوطنية وكيف استأسدوا على رجل فقير من أبناء الشعب ظانين انه من المخبرين فإنهالت عليه الأيدي والأقدام حتى أدمي وهو يستغيث، وبصيغة فنية جميلة يشوبها الحزن والاسى ويقطر لها القلب يقول السياب "اقبل ثلاثة رجال او اربعة (يقصد من الشيوعيين) وهتف أحدهم (سأقتل لكم هذا الشرطي) فمن طريق بناية الشيخ ارتقى الى مركز الشرطة ذبح واحداً من أفراده وأشعل النار فيه.. فلاذ الشرطي الآخر بالفرار. وبعد ان شبت النار في مركز الشرطة، وانقطع الرصاص عادت الشجاعة الى المناضلين فراحوا يتنادون بأن عليهم ان يبحثوا عن الشرطي الهارب ليقتلوه، وعند التفتيش وصلوا الى بين مهدم يبدو الفقر عليه واضحاً فراحوا يفتشون كل زاوية فيه، وفي زير (جب) خالٍ من الماء عثروا على الشرطي الهارب وانقض عليه احد الرفاق بسكين، وفي تلك اللحظة تبرز مقدرة السياب في دقة رسم حالة الشخص وساعدته شاعريته وخياله الجياش في توضيح الصورة يقول: "في تلك اللحظة القصيرة ارتسمت في عيني الشرطي المسكين نظرة رعب وتوسل كافية لأن تفتت قلب الحجر، كأن الحياة منذ ان ابتدأت نطفة حتى بلغت بعد عصور من الجليد الزلزال والبراكين والفيضانات–اعلى قمة من قممها.. الانسان وكأن الانسان منذ ان ابتدأ حياته أشبه بالوحوش وصارع كل قوى الطبيعة، وامراضها، واوبئتها، ووحوشها، وشهد كل المجازر والحروب، كأن ذلك جميعه كان ينظر من عيني الشرطي، وهو يرجو ويتحرق رجاء ان تنقذ حياته والا يموت. ومزق جسد الشرطي بالطعنات.. قم سحلت جثته الى الشارع وصب عليها النفط وأشعلت فيها النار..."[٢].

فالسياب أراد في هذا الوصف ان يظهر قسوة ووحشية من نادوا بالوطنية والديمقراطية وهي منهم براء. فإذا كانت مقالاته السابقة مزيجاً بين الذاتية والموضوعية، فالذات تغلب عليها لأنها تحكي تجربة ذاتية مر بها ونشر في جريدة الاخبار[٣] مقالة صغيرة بعنوان "الامتحان الذي يمر به الشعراء في العراق" حرية التفكير والنزعة الإنسانية

---

[١] الحرية، العدد ١٥٠١، ٢٦ تشرين الأول ١٩٥٩.

[٢] للتفصيلات راجع مقالاته في جريدة الحرية من العدد ١٤٤١ لغاية ١٥٢٠.

[٣] جريدة الاخبار، العدد ٤٢٦١، ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٦.

لدى الأدباء، وهو رد على مقال كتبته جريدة الثقافة السورية. ومقاله يغلب عليه الموضوعية لأنه استقطب الموضوع عناية الكاتب، فعرض الفكرة بوضوح، وسمى الأشياء بأسمائها، وأشار الى جانب من جوانب تجربته مع الشيوعيين، مدافعاً عن هويته الوطنية والقومية، دون ان يسترسل بعيداً حرصاً على التقيد بما يتطلبه الموضوع. وغايته الاساسية هي العداء الذي يكنه الشعوبيون له، وتبرز لنا رغبته الملحة في التعبير عن هذه الغاية التي أقلقته كثيراً فيقول "لم يمتحن أحد كما امتحن الادباء في هذه الحقبة من الزمان، وخاصة في العراق، لقد كان الادباء وعلى الاخص الشعراء منهم الى جانب المظلومين والمضطهدين منذ ان كان في الوجود ادب يستحق هذا الاسم الرفيع..... وقد سرنا انا ونفر من الشعراء العراقيين على هذا النهج، وكان شعورنا الوطني والانساني هو الدافع فحسبونا منهم ثم ترتب على هذا الخطأ وسواه حين ظهر اختلافنا معهم في وسائل جوهرية، كنا نختلف معهم منذ البدء فاعتبرونا منشقين عليهم.... لأننا عبرنا عما في أنفسنا بإخلاص مابعده اخلاص فمجدنا كفاح المجاهدين العرب في المغرب..."[١].

إن اتجاه السياب الوطني والقومي والإنساني هو الذي دفعه الى ان يختار هذه المجموعة من القصائد المختارة من الادب العالمي ويترجمها الى العربية، قال "لست مجبراً على ان اختبار القصائد التي أترجمها، او المواضيع التي اكتب الشعر فيها، وفقاً لما يريده الشيوعيون او الرجعيون، ان اتجاهي انساني وطني.... وخلاصة القول انني ديمقراطي أناوئ كل من يضع مصلحة أمة أخرى، او بلاد أخرى فوق مصلحة أمتنا العربية، ووطننا العربي الأكبر سواء أكانت مصلحة موسكو ام لندن ام واشنطن ام سواها[٢].

وبأسلوب هادئ موضوعي بعيداً عن التصنع والتعقيد، يصور لنا السياب في تعليقه على مقالة صغيرة من (شاعر الى رسام) كتبها الشاعر الراحل حسين مردان الى الفنان شاكر حسن آل سعيد عنوانها (حول رسالة من شاعر الى رسام)[٣] كشف فيها الصراع بين الشاعر ومادية عصره ولمن الغلبة في النهاية، وان قيم العصر الذي يعيش فيه تقف بوجهه وتجعله يعيش ساعات القلق وعدم الاستقرار، إلا أن انتفاضته بوجه هذه القيم المادية لابد منها، فلم يتعقد في أسلوبه بحيث يجعل القارئ لايفهمها، وهو في البداية

---

[١] صحيفة الاخبار، العدد ٤٢٦١.

[٢] نفسه.

[٣] الاخبار، العدد ٤٣٣١، ٢٠ نيسان ١٩٥٦.

فرغ من وضع فكرة رئيسية بنى عليها استنتاجه، بعد ان قدم أمثلة وشواهد آمن بها، واستمدها من تجاربه، فنواة فكرته كثرة المجيدين من الشعراء والكتاب والقراء بالرغم من مادية العصر، ثم الحيرة التي تنتابهم من هذا التناقض: "وان شعرنا المعاصر بأروع مظاهره احتجاج على لا شعرية هذا العصر"[١].

صحيح ان السياب هنا أكد رأياً خاصاً حول هذا الموضوع، إلا انه يعتمد على أحكام موضوعية قد يتفق عليها الكثيرون، يقول "ان الموقف العدائي الذي تقفه منه قيم هذا العصر الغالية تجبره حيناً على الهرب الى أعماق نفسه موصد أبوابها عله يشعر بالأمن والطمأنينة، ولكن الرياح التي تحيط به، الرياح المثقلة برنين الذهب، وعواء الحديد، وزمجرة الالات والنشيج والقهقهات الوحشية تقتحم عليه عزلته فيخرج من برجه ليتحدى العدو بالثورة حيناً وبالسخرية المريرة حيناً، وبمزيج من هذه وتلك حيناً آخر..... وان مشكلة العصر الكبرى هي مشكلة اتصال، ويكاد الادباء كلهم يجمعون على ذلك وان اختلفت الحلول الدائمية او المؤقتة التي يرونها..."[٢]. وأحسب ان الفترة التي عاش فيها السياب أثرت بشكل او بآخر على بعض مفرداته، اذ لاتزال الرومانسية مهيمنة عليه، فأسلوبه ليس بالأسلوب الخطابي ولا العلمي، وفيه حرص على التوضيح، توضيح القصد بدون قلق مستخدماً بعض الألفاظ ذات الجرس المؤثر والحاد، مثل "القهقهات الوحشية" و"الرياح المثقلة" و"لواء الحديد" وغيرها من الالفاظ..... اما عن إيمانه بضرورة بحث النشاط في الحركة الادبية في العراق فكان لاحدود له، كان يشعر بمسؤوليته الكبيرة بصفته اسماً شاعرياً له التزامه تجاه الوطن والفن الادبي، وبأسلوب مباشر هادف أشار بإصبعه الى الداء ونبه اليه والى ضرورة السعي لاستئصاله لكي يأخذ الادب الملتزم طريقه الى الجمهور، ويرى ان عدم نشر النتاج الأدبي الفني يؤدي الى العقم في الابداع، قال السياب "المسألة قبل كل شيء، مسألة إيمان. يجب ان يؤمن الاديب بعمله وبالادب.... ونحن نعيش اليوم في عصر لايؤمن بغير المال والقوة، فهل يستطيع الاديب ان يتحدى هذه المؤامرة الكبرى على القيم الروحية، هل يستطيع ان يصمد امام منطق المال؟ أيستطيع ان يؤمن بأن واجبه واجب مقدس، وان قيمه هي القيم الصحيحة، إيماناً يجعله يقبل التضحية في سبيل الادب، هذا هو السؤال؟.... هناك فئة من الشعراء والكتاب العراقيين لاتنقطع

---

[١] نفسه.

[٢] الاخبار، ٤٣٣١.

عن الانتاج، ولكن انتاجها لايرى النور، لعدم وجود مجلة أدبية بنشر هذا الانتاج فيها، ومن المعلوم ان عملية الخلق الفني لاتتم إلا بنشر النتاج، فنحن كما ترى في اجهاض فني مستمر، نكتب دون ان ننشر، ولابد ان يؤدي استمرار مثل هذا الحال الى العقم والاجداب، هات إيماناً لدى الأدباء بالادب، وهات مجالاً للنشر يزدهر في العراق ادب"[١].

ويبقى صراع السياب مع الشيوعيين مستمراً، فما برح يندد بتجربته معهم في كل مناسبة، لشدة ماعاناه منهم، ففي مقالته (السلام عندهم)[٢]، أوضح ان الحرب الطبقية التي ينادي بها الشيوعيون لاتتناقص مع دعوتهم المطلقة للسلام، بل ان هذه الحرب تكون نتيجتها لخدمة دعوة السلام العالمي، وانهم يطالبون شعوب البلدان غير الشيوعية بالنضال للحد من التسلح لا لشيء إلا لتهيئة سقوطهم بادي الحكومات الشيوعية، فصورة التناقض أضحت واضحة فهو يطالب البلدان غير الشيوعية بطرد المحتلين وتصفية القواعد العسكرية ولكن يرحب في الوقت نفسه بمهاجمة كوريا الشمالية الشيوعية لكوريا الجنوبية، فيندد السياب بمقالته بنواياهم ويقول "ان الهدف الذي يرمي اليه الشيوعيون من حركة السلام هذه، هو ابتلاع المعسكر الغربي، لا دفعة واحدة، حيث قد يبتلعهم ذلك المعسكر، وانما ابتلاعه جزءاً بعد جزء، تخرج كوريا الجنوبية من المعسكر الشيوعي، وتخضع للمعسكر الشيوعي، ثم تتبعها غواتيمالا وسيلان وايران وبرلين وربما العراق، وحينذاك وبعد ان يكون (الخصم)، وهو العالم الغربي- قد ضعف، فلا مانع من شن الحرب عليه ودحره.."[٣]، ثم يذكر السياب القراء بما فعله (أنصار السلام) من مجازر في كركوك والموصل، وهم يسحلون الابرياء بحجة المحافظة على السلام، ويحرقون ويستبيحون المحرمات، ويتساءل كيف تتفق الدعوة الى السلام مع هذه المجازر.

وشدد على ان الشيوعية العالمية في أوربا الغربية تستغل اغراء الملايين من الناس بالدعوة الى السلام، ليستخدموهم جيشاً احتياطياً لتنفيذ مآربهم في بلدانهم، وكيف انهم يدعون حركات السلم العاملة في تلك البلدان الى النفاذ الى هيئات العمال والفلاحين ونقاباتهم من اجل إشاعة افكارهم، يقول السياب "لقد استفاد (الرفاق الشرفاء) في العراق

---

[١] الاخبار، العدد ٤٢٨٥، ٢٤ شباط ١٩٥٦.

[٢] صحيفة الحرية، العدد ١٤٩٩، ٢٣ تشرين الاول ١٩٥٩.

[٣] صحيفة الحرية، العدد ١٤٩٩.

من هذه النصائح وطبقوها، وكسبوا بعض (النجاحات) فيها، وان كانت نجاحات تافهة، لافتقار حزب الرفاق الى القيادة الحازمة الحكيمة"[١].

ظهرت لنا المقالة بصيغتها السياسية، وبأسلوبها البسيط، البعيد عن الغلو، والمصطلحات الحزبية والسياسية، ظهرت واضحة وقريبة لمدارك القراء، وكان الظرف آنذاك يغلي غلياناً سياسياً ضد جرائم الشعوبيين.

وفي مقالته الصحيفة الاخرى التي نشرها توافقاً مع أحداث الساعة وعنوانها (شعاراتهم الجماهيرية)[٢] وفيها كذب السياب وسفه أكاذيب الشعوبيين وأحابيلهم، وفند مايدعون بأن مقالاته (كنت شيوعياً) تخدمهم قال "والحق ان كتاباتي –تخدم الشيوعيين– كما قال احد الموظفين الكبار وهو انسان ديمقراطي، كان شيوعياً ذات يوم ثم رأى مارأى من الاخلاق الشيوعية لست أدرى مايقصده هذا المسؤول حين قال ان كتاباتي تخدمهم... أيقصد انني تحدثت عن أنسهم وطربهم النضالي، مما يدفع المراهقين الى صفوفهم ليصيبوا شيء من ذلك؟. اذا كان هذا مايقصد، فليذهب اولئك المراهقون اليهم. وان الوطن والقومية العربية، ليسا بحاجة الى شباب يتنكرون لوطنيهم ومصلحتهم، فمصلحة (الكرملين) هي العليا لدى الشيوعيين ولقوميتهم ولدينهم ولكل ماهو نبيل ورفيع"[٣].

وكشف السياب بأن انتفاضة تشرين لا يد للشعوبيين فيها، وانهم وإن اشتركوا لكنهم لم يحملوا أي شعار تتبناه جماهير الشعب "ان الحزب الشيوعي –الذي درس قادته بالتأكيد تواريخ الحركات والاحزاب الشيوعية– يعرفون جيداً، ان كل حزب شيوعي حين يقوم بثورة، او محاولة ثورة، ولا يقود وراءه جماهير الشعب الا اذا رفع شعار تتبناه كل تلك الجماهير، فحين كان الشعب الروسي قد سأم الحرب وضاق بها ذرعاً وود لو تنسحب حكومته منها، رفع الشيوعيون الروس (البلشفيك) شعار الانسحاب من الحرب فالتفت حوله الجماهير، وقامت ثورة اكتوبر. اما الحزب الشيوعي العراقي.. فأي شعار جماهيري ابتدأ به مظاهرته؟، شعار لايأتلف مع الشعور العام"[٤].

---

[١] الحرية، العدد ١٤٩٩.

[٢] الحرية، العدد ١٥٠٠، في ٢٥ تشرين أول ١٩٥٩.

[٣] نفسه.

[٤] الحرية، العدد ١٥٠٠.

كانت مقالاته هذه وغيرها جهاداً وطنياً وقومياً نبيلاً، يخاطب وجدان الجماهير العربية. وعرضه كان منطقياً لا ذاتياً، مؤيداً بالبراهين، ولما كانت الفكرة او مجموعة الافكار المطروحة لجميع الناس والاذواق لكونها عامة، وليست هي بموضوع أدبي صرف يتناول أفكاراً فلسفية ونقدية، لذا حرص السياب على ان يكون اسلوبه مثال الوضوح الناشئ عن اختيار المفردات السهلة، والعبارات الواضحة، وهذه المقالات ذات الطابع السياسي اختلف منحاها عن مقالاته (كنت شيوعياً) لأنه في الثانية لجأ الى الذات وصور انفعالها، ثم نشر بعض أحداثها تفسيراً أدبياً، ثم انها احتوت على أحداث أخرى وتطرق من زوايا مختلفة وانطلقت من مواقف مختلفة، كان بطلها السياب نفسه، وبذلك نحس ان شخصية الكاتب أشد وضوحاً.

إن مقالاته السياسية والفكرية الغاية منها نشر الحقائق كما هي، قد لاتخلو من العاطفة أحياناً، وقد يبدو الخيال ضئيلاً امام أهمية وحيوية الفكرة الموضوعية المراد عرضها.

ففي مقالة عنوانها (الشيوعيون هم الشعوبيون)[1] يتحدث عن هروبه متنكراً الى إيران بعد اشتراكه في مظاهرة تشرين، عقب فصله من وظيفته وقد برزت شخصيته واضحة فيها لانه تكلم عن نفسه وغربته ومعاناته في ديار الغربة، وعن صراعه الشديد بين عروبته التي يعتز بها، ومواقف الشعوبيين وخداعهم لأنفسهم وللناس، يوعدون بالجنة على الارض والقضاء على الفساد والظلم، بينما هم يشبعون نزواتهم وغرائزهم. ويظهر لنا أكثر تمسكاً بعروبته فيخاطب نفسه قائلاً "أيتها العروبة... ياقومية محمد والمتنبي وابي تمام، ياقومية سيف الدولة والمعتصم وصلاح الدين الايوبي، لن أخونك، لن أتخلى عنك طمعاً بالسراب الشيوعي او النعم الشيوعية الراهنة"[2].

وأشار الى الهاجس العربي القومي الشديد الذي يطفح بقلوب العرب في إقليم عربستان وحنينهم واشتياقهم الى كل ماهو عربي، والمقالة تدخل ضمن المقالات التي يهاجم بها الشعوبيين لتعرضهم المستمر للعرب وأمجادهم، فأضحت المقالة أشبه بالقصة القصيرة السريعة الأحداث، المحدودة الصور، يصفها هو بنفسه، ويستخلص نتيجة مؤداها

---

[1] الحرية، العدد ١٥٠٢، ٢٧ تشرين الأول ١٩٥٩.

[2] الحرية، العدد ١٥٠٢.

ان ماواجهه في ايران من دناءة الشعوبيين يؤكد بأن "الحركة الشيوعية –وفي الحق– هي امتداد للحركة الشعوبية ولايخطئ من يسمي الشيوعيين العراقيين بـ(القرامطة)..."[١].

ولاينسى ان يشير إشارة سريعة الى تأكيد حقيقة عشنا أحداثها اليوم كما عاشها أجدادنا من قبل، وهي حقد وكره الفرس الدفين لنا ولأمجادنا، وقد تناولها السياب قائلاً "وفي قرية القصبة– في جنوب عربستان– وبينما كنا ننتظر هبوب الرياح لتقلع بنا السفينة الى الكويت، حضرت مجلساً يقرأ فيه ملا فارسي، كان يفرغ سمومه، وحقده على العرب، فغلفه بغلاف من الدين، سمعته يصرخ. (اين سك ملاون سأد بن ابي وغاس كفت)، وترجمة ذلك "هذا الكلب الملعون سعد بن ابي وقاص القائد العربي الفذ حرر العراق من نير الحكم الفارسي، وأنزل بالفرس وبرستمهم، وبكسرى وإيوانه ضربة لن تنسى مادام في الدنيا تاريخ يقرأ.... يسبه –امام العرب– هذا الصعلوك الفارسي رحت أدعو بأن يلهمني الصبر، فلا أتناول النعل وأضرب به ذلك الفم القذر الذي يسب قومي وأمجادهم"[٢]، ويكمل السياب قصة مكوثه في الكويت، وماذا كشفت له من اخلاق (الشيوعيين)، فقد جمعته الظروف مع مجموعة من الشيوعيين الهاربين، ولاحظ نمط المعيشة التي كانوا يعيشونها، وانها تفصح عن قصر تفكيرهم وتفاهة سلوكهم، والصراعات التي كانت تنشب بينه وبينهم، فلا كتاب يدخل الى الوكر، الا اذا كان مصبوغاً بأفكارهم، ولا تتوق النفس الى ماهو مؤيد لهم.

وكان من معه يتهمونه بأنه يحمل أفكاراً غريبة على الشيوعية، وانه بتفضيله شعر (شكسبير) على شعر (ناظم حكمت)، خروج لايغتفر، لان (ناظم حكمت) يعبر عن أفكارهم وآمالهم، ففي مقالة (أخلاق الشيوعيين)[٣]، يقول: "كانت المعارك مستمرة بيني وبينهم حول ماأقرأ: فإذا أردت ان تقرأ قصة، فلا تقرأ غير قصص مكسيم غوركي وتشيكوف وايليا هرنبرغ، او قصص الكتاب الشيوعيين في سوريا ولبنان امثال دكروب وحنا مينه وسواهما. وإذا أردت ان تقرأ شعراً فعليك بأشعار ناظم حكمت وبابلو نيرودا وسواهما من الشعراء الشيوعيين، والجريدة التي يحب ان تقرأ هي (الثقافة الوطنية) الشيوعية اللبنانية.... كنت كلما تناقشنا في قضية وأبديت رأيي الذي أقتنع بصحته، جوبهت بضجة من الرفاق: إنني أحمل أفكاراً غريبة على الشيوعية، لا ريب في انها من (الرواسب الطبقية) رواسب الطبقة (البتي برجوازية) التي أنتمي إليها..."[٤].

وبأسلوب بسيط كعادته صور لنا السيّاب (صفاقة) الشيوعيين، وتطاولهم على أشياء لايفقهونها البتة، واضعين لأنفسهم هالة مزيفة سرعان ماتذوب، فأحدهم يختم خطابه بمصطلح من ابتكاره قائلاً (لتعش الماركسية اللينينية الستالينية المالنكوفية) والآخر ينادي

---

[١] نفسه.

[٢] الحرية، العدد ١٥٠٢.

[٣] الحرية، العدد ١٥٠٣، ٢٨ تشرين الاول ١٩٥٩.

[٤] المصدر نفسه.

بسقوط الاستعمار (الانكلو–امريكي–فرنسي) والاخر يصرح ناظم حكمت أعظم شاعرية من شكسبير).

كانت الثرثرة والغوغاء هي ديدن حياتهم كما يرى السياب، وعلى هذا المنوال نفسه يكتب مقالة أخرى عنوانها (شتائم الرفاق للرفاق)[١]، أخذت المنحى نفسه بتصوير وكشف زيفهم وكذبهم وافترائهم، وتناولت مقالته حالة الانشقاق التي سادت صفوفهم، فأخذ كل فريق يهاجم الآخر، ويكشف ممارساته اللاأخلاقية، قال "وفي تلك الأثناء كان الحزب الشيوعي العراقي قد انقسم على نفسه الى كتلتين، تدعي كل منها انها هي المخلصة للتعاليم الماركسية–اللينينية، وانها هي الوريث الشرعي للرفيق (الخالد) فهد، وكانت إحدى الكتلتين تصدر (جريدة القاعدة) بينما تصدر الكتلة الأخرى سمتها (راية الشغيلة)..."[٢]. واستمر عرض الشتائم بين الرفاق كل طرف يحاول فضح الطرف الآخر، والاستخفاف به "ونشرت (القاعدة) بأسماء الرفيقات– من نصيرات راية الشغيلة.. وبأسمائهن الحزبية المستعارة– وعرضت بهن. وردت عليها (راية الشغيلة) بسلسلة من اعدادها ايضاً قائلة بأن التفسخ الاخلاقي ليس موجوداً في صفوفنا، وانما هو في صفوف القاعديين، ونشرت قوائم بأسماء المناضلات (القاعديات) وسلوكهن.."[٣].

وتكلم السياب عن تجربته مع حزب تودا الإيراني في مقالته (تجربتي مع تودا)[٤]، تكلم عن تنسيق العلاقات بين الحزب الشيوعي العراقي وحزب تودا، وعن صور الإفادة التي أخذها الشعوبيون في العراق من حزب تودا ("واستفاد حزب الرفاق العراقيين من الحزب الايراني (الشقيق له طبعاً وليس لنا) في النزهات و(البكنكات) التي ينظمها للرفاق والرفيقات والتي سرعان ماتنقلب الى احتفالات حزبية تلقى فيها الكلمات والقصائد وتنشد الاغاني والأناشيد، وتؤدى الرفيقات رقصاتهن.."[٥].

وكتب السياب الكثير من النماذج التي تعني الكثير، واستشهد بنموذج من سلوك أحد الشيوعيين الذي أسماه (فحل التوت) لضخامته، هذا الشيوعي الذي أرسله الحزب الى إيران لشراء (مطبعة) بالتنسيق مع حزب (تودا) والذي كان يقضي الليل كله في الحانات، والاماكن المشبوهة، حيث تباع فيها الرذيلة، قال السياب في مقالته (نماذج من سلوك الشيوعيين) "أهذا هو النضال؟ ان تسلخ جلود الفلاحين والعمال الفقراء بالتبرعات، والاشتراكات التي تجبى منهم للحزب الشيوعي ثم تسلم ماجبيته الى شخص كـ(فحل التوت) ليسكر به ويعربد ويقضي مأربه في دروازة قزوين* .."[١].

---

[١] الحرية، العدد ١٥٠٤، ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٩.

[٢] نفسه.

[٣] نفسه.

[٤] الحرية، العدد ١٥٠٦، ١ تشرين الثاني ١٩٥٩.

[٥] نفسه.

* دروازة قزوين معناها: حي المبغى العام في طهران.

ويخرج لنا السياب بمقالته (خاتمة المطاف) وهي وان كانت خاتمة المطاف في سلسلة مقالاته عن تجربته الفاشلة والمريرة مع الشيوعيين الا انه لمن يكف عن محاربتهم بكل ماأوتيت له من وسائل دون رحمة بعد ان نال الكثير منهم، ويخاطبهم بأن لايفرحوا بأنه سوف يسكت، بل هناك الكثير مما سيقدمه، وسوف يظل يطرق الى ما لانهاية، وسرد حواراً دار بينه وصديقه الاستاذ (محي الدين إسماعيل) ويوصلنا نهاية الحوار الى الغاية والمغزى المطلوب وهي التناقض الواضح بين أفكارهم وواقع الحال ليكون القرّاء على بيّنة بأنهم (أي الرفاق) يتيهون في واد، وأن أقاويلهم تشكل صدى خافتاً لا قيمة له.

لنقرأ للسياب يقول عن حالة التناقض هذه "كنا (هو وصديقه فمحي الدين اسماعيل) كلما ضمنا مجلس نبدأ بمناقشة الفلسفة الشيوعية والنظام الشيوعي، فنبين مثالبهما، واذكر اننا اكتشفنا ذات ليلة هذه الحقيقة.... مع ان اكتشافها لايحتاج الى كثير من الذكاء: طبقاً للماركسية يجب ان تحدث الثورة البروليتارية في البلدان المتقدمة صناعياً في انكلترا وامريكا والمانيا واليابان حيث يبلغ عدد العمال (الطبقة العاملة) كما يسميهم احد الرفاق –الملايين بل وعشرات الملايين احياناً. ولكن الأمر حدث على العكس من ذلك، اذ حدثت الثورة البروليتارية في روسيا القيصرية، وفي الصين.. وهما بلدان متأخران صناعياً واجتماعياً وسياسياً.."[٢].

ثم يذكر بعد ذلك فكرة مؤداها، اذا كانت الغاية من الفلسفة الشيوعية هو السير الطبيعي بدون تعارض نحو الوصول الى ماتصبو اليه، وان مايفعله النظام الشيوعي هو تحطيم السدود التي تضعها الرأسمالية.

إذن، فعلام هذا التضييق على الحريات والتشدد على الافراد، ومنع كل أديب عن كتابة ما يملي عليه ضميره.

إن القضاء على هذا الخطر واستئصاله منوط بالابتعاد عن أفكارهم وأنغامهم الشاذة، واختيار طريق خاص لكل بلد يعبر من خلاله عن مشاكله ويجد الحلول الجذرية المناسبة لظروفه وتاريخه، لا النسج على منوال موسكو والانقياد بما تخطط له، كأنما الشعوب دمية تلعب بها كما تشاء.

وجاءت مقالته (حديث عن تيتو)[٣] ففيها تحدث عن تمرد القائد اليوغسلافي (تيتو) عن معسكر موسكو، ورفضه لوجود ماتسمى (الطبقة الجديدة) او (البرجوازية الشيوعية)، وهي الفئة التي تستحوذ على أهم وأرفع المناصب وعلى مجموعة كبيرة من العقارات والأموال، وتتمتع بنعم الحياة، وكان يرفض ان يكون ضيعة تابعة لموسكو، وان تتحول الى ورشة تنسج الحديد لتستفيد منه موسكو بأبخس الأثمان.

---

[١] الحرية، العدد ١٥٠٧، ٢ تشرين الثاني، ١٩٥٩.

[٢] الحرية، العدد ١٥٠٩.

[٣] الحرية، العدد ١٥١٩ في ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٩.

رفض (تيتو) هذا المسلك، صارخاً ان بلده يحتاج الى المعامل التي تنتج قماشاً وطعاماً لا حديداً، ونظم الروس له حركات ومؤتمرات واجهها (تيتو) وشعبه بصلابة وشجاعة فكتب لها الفشل، وكان نتيجة ذلك ان فصل نفسه عنهم، واختط طريقاً خاصاً لبلده.

كان ديدن الحزب الشيوعي الروسي استغلال بلدان أوربا الشرقية، وجعلها تابعة له سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، يقول السياب "كان هذا الحزب يحاول ان يستغل يوغسلافيا سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، ولكنه اصطدم بشيوعي يضع مصلحة شعبه فوق أي اعتبار آخر"[١].

وهم وان استطاعوا السيطرة على معظم بلدان اوربا الشرقية واخضعوها لهم، الا (تيتو) وضع مصلحة بلده وامته واحترامه لشعبه فوق كل شيء، ولم يأبه بفصله من (الكومنفورم) في ٢٨ حزيران ١٩٣٨، بل تحرر من هذا القيد واصبح كمن أفلت من قفص لايطيق الحركة فيه، يقول السياب "وهكذا تقرر طرده .. وراحت أبواق الدعاية الشيوعية تشنع عليه وتتهمه بالانحراف لقد أتاح تيتو للأحزاب الشيوعية فرصة التخلص من أخطر تهمة، وهي حقيقية توجه اليهم، وهي انهم عملاء للشيوعيين الروس يفضلون مصالح هؤلاء على مصالح بلدانهم وشعوبهم، ويصدعون لما يأمرونهم، فقد أثبت أنك تستطيع ان تكون شيوعياً وألا تنصاع رغم ذلك لأوامر تأتيك من الخارج، ولكنهم عملاء في طبيعتهم لايمتلكون أي احترام لانفسهم ولا لشعوبهم وأوطانهم... ولهذا شاركوا في الحملة ضده، وراحوا ينعقون كالضفادع حين تستجيب لنقيق الضفدعة الرئيسة"[٢].

كيف يمتلك شخص ما احترام نفسه، او كيف تمتلك جماعة احترام النفس، هذا ماتناوله السياب في مقالته (رباط الجريمة)[٣]، يقول السياب "ان فئات، بل وعشرات المئات من هؤلاء الذين يصفقون ويرقصون ويغنون ويهتفون في المظاهرات الشيوعية، ليسوا شيوعيين على الاطلاق، بل ان الكثيرين من أعضاء الحزب الشيوعي العراقي ليسوا شيوعيين. وهذا من بين الأسباب التي تجعل الحزب الشيوعي يتبع هذه الجماعة الى ارتكاب جرائم القتل والسحل والاحراق. ان قيامهم بتلك الاعمال التي يحرضهم الحزب الشيوعي عليها، يربطهم بالحزب الشيوعي والحركة الشيوعية برباط الجريمة... فيجعل مصيرهم مرتبطاً بمصير الحزب العميل والحركة الفوضوية ومتوقفاً عليها. فإذا انتكست الحركة الشيوعية تعرضوا للمحاكمة جزاء الجرائم التي اقترفوها، ونالوا من العقوبات ماقد يرقى الى الإعدام. اما إذا نجحت الحركة الشيوعية وارتفع مداها، فإنهم لن يحاسبوا على

---

[١] المصدر نفسه.

[٢] الحرية، العدد ١٥١٩.

[٣] الحرية، العدد ١٥٢٠، في ١٧ تشرين الثاني ١٩٥٩.

تلك الجرائم، بل وينفتح امامهم الطريق لارتكاب المزيد من الجرائم ..... فهم من ناحية ينفذون أوامره وتوجيهاته، وهو من ناحية اخرى يستطيع ان يدعي ببراءته من تلك الجرائم.. لأن الذين ارتكبوها ليسوا أعضاء في الحزب. كما انه لن يخسر شيئاً اذا هم أعدموا او سجنوا لأنهم ليسوا من أعضائه"[١]. ناهيك عن الموقف المبطن الذي يتخذوه، وهذه مسلمة اتخذتها جميع الأحزاب الشيوعية في العالم العربي، إضافة الى تغلغلهم في الاحزاب الوطنية الاخرى من اجل اسقاطها.

يقول السياب "لعل من أهم الامور التي رأيناها الموقف (المبطن الذي تتخذه الاحزاب الشيوعية من السلطة الوطنية، لقد تظاهر الشيوعيون المغربيون بالولاء للعرش المغربي، بينما كانوا يسعون في حقيقة الامر – الى نسفه وتظاهر شيوعيو – اتحاد الشعب – بالالتفاف حول ثورة تموز... بل راحوا يفصلون اعداءهم من وظائفهم ويقتلون خصومهم، ويسحلونهم او يسجنونهم بحجة –صيانة الجمهورية....."[٢].

ولايفوتني ان أذكر ان هناك مقالات صحفية للسياب مبثوثة في صحف ومجلات متفرقة، الا انني لم أعثر على دليل يرشدنا اليها، ويحتاج ذلك الى جهد ووقت طويل لكي نتصفح الصحف جميعها التي واكبت نشأة السياب الادبية خلال المدة التي أخذ ينشر نتاجه شعراً ونثراً في صحف ومجلات عراقية وعربية يتعذر العثور عليها الآن.

المراجع

أ- الكتب:

١- أساليب المقالة وتطورها في الادب العراقي الحديث والصحافة العراقية، منير بكر، مطبعة الارشاد، ط١، بغداد، ١٩٧٦.

٢- فن المقالة، محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣.

ب- الدوريات:

١- صحيفة الأخبار، أعداد متفرقة للأعوام.

٢- صحيفة الحرية، أعداد متفرقة للأعوام.

---

[١] الحرية، العدد ١٥٢٠.

[٢] صحيفة العهد الجديد، بتاريخ ١٩٦١/١/١.

(تاريخ الأحزاب الشيوعية في العالم العربي– ملامح مشتركة بين الحركات الشيوعية في الوطن العربي، ص٣.

٣- صحيفة العهد الجديد، أعداد متفرقة للأعوام.